

ظاهرة الاستشراق الفرنسي في الفن التشكيلي الجزائري

The phenomenon of French Orientalism in Algerian plastic art

د. كيوط سلاف*

جامعة صالح بونيدر قسنطينة ٠٣،

مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة

soulaf.kabote@univ-constantine3.dz

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٥/٠٣ النشر: ٢٠٢٥/١٢/١١

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٢/١١

ملخص:

يعتبر الاستشراق الفني صورة من مظاهر التأثير الغربي بسحر الثقافة والحضارة الشرقية، ومصدر جذب واهتمام للفنانين المستشرقين، وذلك عن طريق توظيف الفنانين الغربيين لقدراتهم الإبداعية وخيالهم الفني كأداة لتجسيد الواقع الشرقي، فما دفعنا للقيام بهذه الدراسة هو محاولة الإجابة على الإشكالية التالية: كيف تجسدت ظاهرة الاستشراق الفرنسي في الفن التشكيلي الجزائري؟ حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف أكثر على ظاهرة الاستشراق الفرنسي وأثره على الفن التشكيلي الجزائري؛ مع تحديد أهم مراحل ظهور وتطور هذه الظاهرة في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، والتعرف أكثر على أبرز رواد هذا النوع من الفن، وأشهر أعمالهم الفنية، لذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، لنستنتج في الأخير بأن للاستشراق الفرنسي في الجزائر دور كبير ومهم في توسيع وتثبيت الخطط الاستعمارية، وتم استخدامه لغايات عسكرية بحتة، من أجل القضاء على الفكر والثقافة الشرقية المحافظة بدل تثبيتها.

الكلمات المفتاحية: استشراق فرنسي؛ فن تشكيلي؛ ثقافة شرقية؛ لوحات فنية؛ تحليل فني.

Abstract : (In English, and must contain : Purposes, Methodology, tools used and the main results of the contribution.)

Artistic Orientalism is considered as one of the Appearances of the Western influence with culture and Eastern civilization, A source of attraction and an interest for the Orientalist artists, and that By employing Western artists due to Their creative abilities and artistic imagination as a tool to embody Eastern reality, so the reason we did this study is to answer the following problem how the French Orientalism Incarnated in the Algerian plastic art ? this study aims for more knowledge on the french orientalism and its effecton the algerian plastic art ; and set the Stages of development and emergence of this phenomenon during the french colonization , so we used the Descriptive analytical method, at the end we conclude that the French Orientalism in algeria has a big and important role in Expanding and installing the Colonial plans.

KeyWords: French Orientalism, artistic art, eastern culture, Paint Art, Technical analysis

*كبوط سلاف

المقدمة:

يعتبر الاستعمار الذي تعرضت له معظم الدول العربية، والذي فرض سيطرته على مختلف المجالات بداية من المجال العسكري ثم الثقافي وصولاً إلى المجال الفني، سبباً رئيسياً في ظهور مفهوم الاستشراق، وأبسط مثال على ذلك الاستعمار الفرنسي للجزائر، حيث اعتمد الفنانون الفرنسيون في تلك الفترة على مبدأ الاستشراق الفني، باختلاف أهدافهم من ذلك فمنهم السلبية والايجابية، لذلك يعتبر الاستشراق الفني صورة من مظاهر التأثير الغربي بسحر الثقافة والحضارة الشرقية، ومصدر جذب واهتمام للفنانين المستشرقين، وذلك عن طريق توظيف الفنانين الأجانب لقدراتهم الإبداعية وحيالهم الفني، كأداة لتحسيد الواقع الشرقي من زوايا مختلفة لإبراز ثقافته وعاداته وتقاليد، في صورة ساحرة تشبه قصص الخيال وحكايات ألف ليلة وليلة.

فاختلفت أساليب ذلك إما عن طريق تجسيد الواقع والبيئة الاجتماعية المحافظة كما هي، أو بإضافة بعض الأفكار الشخصية والخاصة حسب ثقافة وهوية الفنان ونظرتهم لتلك الحضارة، لذلك نجد الكثير من الفنانين المستشرقين يحرفون بعض المبادئ الشرقية، كلوحة: "نساء الجزائر" للفنان الفرنسي: (يوجين دولاكروا) والتي جسدت فيها صورة النساء الجزائريات بطريقة مخلة على عكس الواقع المحافظ، من جهة أخرى نجد القليل من الفنانين المستشرقين حافظوا على نقل الواقع كما هو ودون تحريف كالفنان (إيتيان دينيه).

بالإضافة إلى أن الفن الاستشراقي الفرنسي في الجزائر خاصة فتح آفاقاً جديدة لتطوير الفن التشكيلي بالجزائر، وكان سبباً رئيسياً في تلاقي الثقافات وتبادل القدرات والمواضيع الفنية بين الفنانين، مما خلق فناً استشراقياً ينقل الحياة الساحرة للشرق وثقافته من لباس وحلي وعادات وتقاليد، على يد فنانين فرنسيين كان لهم تأثير قوي ودور بارز في نقل الواقع بتأثير ساحر، وتخليد لوحات فنية تجسد الطبيعة ومظاهر حياة الجزائريين أثناء الاستعمار الفرنسي، سواء من الجانب الديني أو الثقافي وحتى طبيعة الحياة التي تعتبر بالنسبة لهم مختلفة وفريدة من نوعها؛ هذا ما دفعنا للقيام بهذه الدراسة وذلك من أجل التعمق أكثر في هذا الموضوع، وكذلك محاولة الإجابة على السؤال الرئيسي المتمثل في:

كيف تجسدت ظاهرة الاستشراق الفرنسي في الفن التشكيلي الجزائري؟

أهداف البحث:

- التعرف أكثر على ظاهرة الاستشراق الفرنسي وأثره على الفن التشكيلي الجزائري؛
- تحديد ظهور وتطور الفن الاستشراقي في الجزائر؛
- إبراز أهمية الفن الاستشراقي؛

- تحليل فيجماليات لوحة فنية استشرافية واستخلاص أهم خصائص الفن الاستشرافي في الجزائر.

منهجية البحث

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي في جمع المادة العلمية في مجال الاستشراق الفرنسي في الجزائر، بالإضافة إلى المنهج الوصفي التحليل من المنهج الوصفي التحليلي، والذي تم استخدامه في تحليل اللوحة الفنية تحليلا فنيا أكاديمي.

I. تحديد مفاهيم الدراسة:

سنحاول في هذه الجزئية من الدراسة تحديد مفهوم مصطلحين مهمين ألا وهما الاستشراق والاستشراق الفني لغة واصطلاحا، من أجل الوصول إلى مفهوم دقيق حول كلاهما:

١. مفهوم الاستشراق:

1.1. لغة: تم تحديد مفهومه في قاموس المحيط بأنه مصدر من الفعل السداسي استشرق ويعود أصله إلى كلمة: (شرق)، والألف والتاء والسين إذا سبقت كلمة أفادت الطلب، لذلك فإن الاستشراق هو طلب الشرق (محمد، ٢٠٠٢، صفحة ١٧)، أي أن الاستشراق هو عملية يقصد فيها المستشرق بلاد الشرق بغية فائدة أو خدمة فيها فائدة له.

أما بالنسبة لكلمة استشرق أي اندمج في مجتمعات الشرق لدرجة أنه صار منهم، أما علميا فيقصد بها كل عالم غربي جاء يطلب علوم الشرق ولغاتهم، بالإضافة إلى معارفهم وآدابهم وعلومهم (الشيخ، صفحة ٣١١)، نستخلص من ذلك أن كل غربي جاء إلى مجتمعات الشرق من أجل التعرف ودراسة علومهم وفنونهم وثقافتهم يعتبر مستشراقا.

٢.١. اصطلاحا: اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الاستشراق فكل يدرسه من جانب مختلف حسب التخصص الذي يراه من خلاله، لذلك نجد بأن الاستشراق عند الباحث محمد فتح الله "هو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق، للسيطرة عليه" (محمد، ٢٠٠٢، صفحة ١٦)، أي أن المستشرقين يقومون بدراسات للعالم الشرقي من أجل التعرف على عاداته وتقاليدته ونمط حياته وعلومه وفنونه، من أجل إتقانها وإضافة لمستهم الخاصة من أجل السيطرة عليه ثقافيا وفنيا وحتى سياسيا من خلالها.

كما تم تحديد مفهوم الاستشراق أيضا بأنه: "تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين، وثقافتهم، وتاريخهم، ويقصد به: ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته، وقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي بصورة خاصة، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما (محمد، ٢٠٠٤، صفحة ١١)، يتضح من خلال هذا المفهوم بأن الاستشراق عبارة عن القيام بدراسات تشمل عدة مجالات مختلفة من الشرق الاسلامي بصفة عامة.

٢. مفهوم الاستشراق الفني:

١,٢. اصطلاحاً: يحدد الباحث (جمال قطب) مفهوم الفن الاستشراقي اصطلاحاً بأنه: "ذلك العمل الذي يكون من إنتاج الفنانين الأوروبيين الذين تتجسد في إبداعاتهم روح الشرق" (قطب، ٢٠١٦، صفحة ٣٠)؛ وتكمن روح الشرق من خلال رسم وتشكيل الطبيعة الشرقية من لباس وحلي واحتفالات وكذلك ديكور المنازل الشرقية المزينة بالزخرفة والزراي والأواني التقليدية وغيرها، ويكون ذلك من وجهة نظري كباحثة من أجل نقل جمال الشرق وسحره لدراسته أكثر، وأحياناً يكون تحريفاً للواقع الشرقي من أجل طمس هويته وثقافته، واستخدامه كنوع من أنواع الاستعمار الثقافي.

II. الاستشراق الفني في الجزائر:

في هذه الجزئية سنتحدث عن عنصرين مهمين من البحث وهما ظهور وتطور ظاهرة الاستشراق الفرنسي في الفن التشكيلي الجزائري بالإضافة إلى دور الفن الاستشراقي في تطوير الفن التشكيلي الجزائري.

١. ظهور وتطور ظاهرة الاستشراق الفرنسي في الفن التشكيلي الجزائري:

اهتمت فرنسا بداية من دخولها إلى الجزائر سنة ١٨٣٠م باستخدام الفنانين التشكيليين كمستشرقين في الجزائر، حيث أحضرت فرنسا معها مجموعة من الفنانين والمصورين من أجل نقل البيئة الاجتماعية والحياة اليومية التي كان يحياها المجتمع الجزائري، وبصفة خاصة كان السبب الرئيسي لذلك هو محاولة نقل أحداث ومعارك وانتصارات قامت بها فرنسا كتخليد لذلك عن طريق الفن والصورة بدل الكتب، أي أن المرحلة الأولى من الاستشراق كانت عسكرية بحتة.

لذلك احتوت الحملة الفرنسية ضد الجزائر على سبعة فنانين تشكيليين لقبوا بالفرقة العسكرية للرسمين، وهم كل من الفنان الفرنسي: (جلبار بيار جوليان) (Gilbert Pierre-Julien) والذي عين قائدا للفرقة العسكرية للرسمين، والفنان (إيزابي أوجان) (Isabey Eugène) عينته فرنسا رساما للبحرية أثناء الحملة على الجزائر سنة ١٨٣٠م، واشتهرت رسوماته بالطابع التاريخي في تجسيد أحداث الحملة والحروب آن ذاك، بالإضافة للفنان (قودان تيودور) (Gudine Théodore) كرسام للبحرية أيضا واشتهر بعدة لوحات استشرافية ذات طابع تاريخي كلوحة: عاصفة ١٦ جوان بسيدي فرج ١٨٣٠، وكذلك الفنان (تورني دو بالفيل) (Tournié De Belleville) الذي تحدث عنه الباحثة إيليزابيث بازناف بأنه عضو في فرقة الفنانين الذين خلدوا لوحات تجسد احتلال الجزائر، بالإضافة إلى الفنان الفرنسي: (مورال فاسيوليون أونطوان) (Morel-Fation lion-Antoine)، من أشهر لوحاته "فج باب عزون"، ورسوم تحضيرية للجزائر العتيقة وغيرها، والفنان: (لونغلوى جان شارل) (Langlois Jean-Charles) وهو الفنان الوحيد الذي لم تستدعه فرنسا بل هو من طلب الانضمام إلى الفرقة العسكرية للرسمين فكانت أغلب لوحاته تعبر عن المعارك ومناظر طبيعية تخص أماكن من الجزائر، بالإضافة إلى الفنان السابع: (واشموت فرديناند) (Wachsmuth Ferdinand)، تميزت كل رسوماته بتجسيد معسكرات الجيش الفرنسي في الجزائر، أي أن الغرض من كل هؤلاء الفنانين في بدايات الاستعمار كانت دعم الحملة العسكرية وتخليد انتصارات الجيش الفرنسي.

(Vidal-Bué, 2002, pp. 250-312)، لكن غرض فرنسا من المستشرقين تعدى ذلك إلى تبجيل وتضخيم فرنسا وانتصاراتها وتبرير الاستعمار على أنه امتداد حضاري من أجل النهوض بالدول المتخلفة، لكن الحقيقة أن

المستشرقين كانوا أداة لتنصير المجتمع وطمس هويته بعد دراستها جيدا، مما ساعد الفنانين المستشرقين من التغلغل في المجتمع الجزائري من أجل دراسة طبيعته وثقافته وهويته ليسهل التحكم فيه وتسييره وفق مبادئ فرنسا، وذلك بنشر القيم الحضارية الأوروبية وأفكارهم المخلة، داخل المجتمع الجزائري المحافظ على مبادئ الدين الإسلامي، أيضا من أجل تقزيم الجزائر ومقاومتها للاستعمار، من أجل تخليد لوحات فنية تحاكي التاريخ من وجهة نظر استعمارية، إلا أن هنالك فنانين كانوا صادقين في تجسيدهم لسحر الطبيعة في الجزائر، كما جسدوا رحلاتهم وجولاتهم في المدن الجزائرية بتفاصيل دقيقة، مع التركيز على اختلاف العادات والتقاليد ونمط العيش فيها. (شاعو، ٢٠١٢، صفحة ١٠٥)

دون أن ننسى تجربة الفنان الفرنسي: (يوجين دولاكروا) (Eugène Delacroix) عند زيارته للجزائر واعتبر من بين أشهر الفنانين الاستشراقين في الجزائر، نظرا للوحاته التي نالت قدرا كبيرا من الشهرة وبقيت خالدة إلى يومنا هذا، حيث أرسلت فرنسا كعادتها بعثة دبلوماسية إلى المغرب وكان من بينهم الفنان: (يوجين دولاكروا) من أجل تعزيز العلاقات الدبلوماسية وإقناع الدولة الحارة بالتوقف عن دعم المقاومة في الجزائر سنة ١٨٣٢م، فكانت هذه الرحلة بالنسبة للفنان: دولاكروا بمثابة تحقيق الحلم في زيارة مدن الشرق والتعرف على الطبيعة الساحرة فيها (زينات، ١٩٩٢، صفحة ٢٤٤)، لذلك زار المغرب ثم الجزائر، حيث قام هنالك بإنجاز رسوم تخطيطية للوحته التي حصدت نجاحا كبيرا بعنوان: نساء الجزائر (أنظر إلى الملحق رقم ٠١)، والتي جسد فيها نساء جزائريات ساحرات الجمال بلباس وحلي تقليدي، مع إضافة لمسته الفكرية والجمالية الخاصة، لذلك نستنتج من هذه الجزئية بأن الفن الاستشراقي كان هدفه الرئيسي سياسي تاريخي بحث، وكان الفنان عبارة عن مؤرخ فني للأحداث التاريخية والمعارك لكن باللوحات عوضا عن الكتابة، دون أن ننكر فئة قليلة من الفنانين المستشرقين الذين اهتموا برسم الطبيعة والعادات ونمط الحياة بعيدا عن الحرب والدمار، لدرجة الاندماج مع المجتمع الجزائري أمثال الفنان الفرنسي: (إيتيان دينيه).

٢. دور الفن الاستشراقي في تطوير الفن التشكيلي الجزائري:

لا ننكر بأن للاستشراق الفرنسي في الجزائر أهداف سياسية وعسكرية ودينية وحتى ثقافية، لصالح الاستعمار الفرنسي، لكن لا يمكن تعميم ذلك على كل المستشرقين حيث أن هنالك من الفنانين من كان له الفضل في نقل مشاهد حقيقة من حياة المجتمع الجزائري والطبيعة الساحرة في الجزائر، لغاية فنية جمالية خالصة لا أكثر، حيث كان للجزائر الفضل الكبير في اكتشاف الفنانين الأوروبيين للألوان الدافئة والمناظر الساحرة كغروب الشمس وسحر الصحراء، كذلك اهتموا بتجسيد عفوية وبساطة المجتمع الجزائري، ومنهم من اندمج فيه وغير ديانته تأثرا بمبادئ الدين الإسلامي، وصفات المجتمع الجزائري، وهذا التأثير ينطبق حتى على الفنانين الجزائريين الذين تأثروا بالفن الاستشراقي وأسلوب الفنانين المستشرقين، والمدارس الفنية الأوروبية.

لذلك فإن للاستشراق الفرنسي في الجزائر دور كبير في تشكيل وتطوير الفن التشكيلي وفتح المجال لتأثر الفنانين الجزائريين بمدارس الفن التشكيلي الأوروبي، حيث استفاد الفنانين الجزائريين من تجارب الفنانين المستشرقين، وذلك "ببعث مواهب فنية كبيرة استطاعت أن تبرز على الساحة الفنية الوطنية والدولية وبمستوى عال من الممارسات التشكيلية الراقية، حتى إن التجربة الجزائرية في الفن التشكيلي متميزة جدا وتحتل الصدارة في العالم الثالث وهي فريدة في العالم العربي، كونها

وليدة الفن التشكيلي الحديث في أوروبا وفرنسا، وهو الأمر الذي لم يتح لكل محبي الفن التشكيلي في العالم، حيث كانت فرنسا وجهة لكل موهوب أراد أن يمارس الفن أو يدرسه، أو أن يظهر فيه، أو يعلن عن أسباب جديدة، لأنها وبساطة وخلال فترات زمنية طويلة كانت عاصمة للفن التشكيلي العالمي " (خالدي و عزوز، ٢٠١٨، صفحة ٥١).

III. رواد الفن الاستشراقي بالجزائر وأشهر أعمالهم:

سنتحدث في هذه الجزئية على فنانين تشكيليين كان لهما دور كبير في تحديد معالم الفن الاستشراقي الفرنسي في الجزائر، وهما الفنان (أوجين دولاكروا) والفنان (إيتيان دينيه) أو ما يعرف بنصر الدين دينيه، ثم التطرق إلى بعض لوحاتهم الشهيرة في هذا المجال، والقيام بتحليل فني للوحة فنية تشكيلية للفنان (أوجين دولاكروا).

١. الفنانين المستشرقين في الجزائر وأشهر أعمالهم:

١، ١. الفنان (أوجين دولاكروا):

اسمه الكامل (فرديناند فيكتور أوجين دولاكروا)، ولد بفرنسا سنة ١٧٩٨ بمدينة بشارونتون سان موريس، حيث كان ابنا غير شرعي لوزير خارجية بفرنسا، توفي والده عندما كان عمره سبع سنوات، ثم توفيت أمه ولم يبلغ من العمر ستة عشر سنة، مما جعله يعتمد على نفسه من أجل تطوير قدراته الفنية، لذلك كان تابعا في بداية مسيرته الفنية للمدرسة الكلاسيكية ونشأته الأرستقراطية ساعدته على ذلك، لكن سرعان ما تميز بأسلوبه الرومنتيكي الذي جعله في القرن التاسع عشر من أبرز رواد هذا الاتجاه، حيث درس الفن مع المصور (جيران)، وتأثر بأسلوب العديد من الفنانين المشهورين أمثال (جيريكو) وكذلك المصورين الإيطاليين والإنجليز المعاصرين، برع الفن وانطلق في مجال الرسم وهو في الثامنة عشر من عمره، وكان أسلوبه بين الكلاسيكية الجديدة والرومنتيكية، حيث تأثر بالأدب الرمنسي الذي وجهه نحو الفن التشكيلي بأسلوب رومنسي، ومن بين الكتاب الرومنسيين الذين تأثر بهم نحد (شيكسبير)، (وداني)، و (جيوتا) وغيرهم، كما كان للوحة: الميدوة تأثير قوي على خيال وأسلوب الفنان: (دولاكروا) (أعمر، ٢٠١٦-٢٠١٧، صفحة ١٠٦)، لذلك يعتبر الفنان (يوجين دولاكروا) من أشهر الفنانين الاستشراقيين، حيث كان له العديد من اللوحات الاستشراقية التي لاقت شهرة واسعة آن ذاك، ومن أشهر أعماله الاستشراقية نحد لوحة: نساء الجزائر في غرفته (أنظر إلى الملحق رقم ٠١)، اعتمد فيها الفنان على الأسلوب الرومنسي، وكان قد رسمها بعد زيارته للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي وتأثره بثقافتها واختلاف عاداتها.

٢، ١. الفنان إيتيان دينيه:

هو فنان تشكيلي فرنسي ولد سنة ١٨٦١ بباريس، نشأ وسط عائلة برجوازية مما سهل عليه الخوض في مجال الفن التشكيلي، فلم يكن فنانا تشكيليا بارعا فحسب بل وأصبح قدوة للفنانين الجزائريين، جاء إلى الجزائر بعد تفوقه في الدراسة بمدرسة الفنون الجميلة بصالون الصناعة التقليدية، والتي فاز فيها بمنحة دراسية إلى الجزائر سنة ١٨٨٤، فتعايش بعد قدومه مع المجتمع الجزائري واندمج فيه وأعجب بكل تفاصيله الخاصة، من طبيعة صحراوية ساحرة وهوية وثقافة وعادات وتقاليد ونمط الحياة، مما سهل عليه عملية رسم وتجسيد كل جزء من حياته اليومية، مركزا في ذلك على منطقة بوسعادة التي مكث فيها طويلا، حيث رسم الأطفال وبراءتهم وهم يتعلمون أو يلهون ويلعبون بطريقة عفوية (أنظر إلى

الملحق رقم ٠٢)، كذلك جسد طريقة لباس وتحدث وطبيعة المرأة البوسعيدية في المناسبات والأفراح وتجمعات النساء (أنظر إلى الملحق رقم ٠٣)، بالإضافة إلى خشوع وحكمة وتأمل الشيوخ في الصلاة وتجمعاتهم في المناسبات باللباس التقليدي، وطيش الشباب وغيرها من اللحظات التي كان يعيشها المجتمع الجزائري ببساطته، فتميز الفنان: (إيتيان دينيه) بصدقه في نقل وتجسيد لوحاته ومواضيعه وشدة ملاحظته للتفاصيل البسيطة والدقيقة، ومن بين أشهر أعماله الاستشراقية نجد كلا من لوحة: المتآمرون بالليل، ولوحة نساء بوسعادة، وغيرها من الأعمال الفنية الاستشراقية. (خالدي و عزوز، ٢٠١٨، الصفحات ٥٣-٥٤). وبقيت لوحاته الفنية خالدة إلى يومنا هذا في منزله بمدينة بوسعادة، والذي هيء بعد وفاته ليصبح معرضاً لأعماله التي تركها، لتصف مدى تعلقه في الثقافة الجزائرية وانصهاره فيها.

٢. تحليل فني للوحة استشراقية للفنان الفرنسي (دولاكروا):



الشكل رقم 01: لوحة نساء الجزائر في غرفتهن

أ. بطاقة فنية للوحة:

- عنوان اللوحة: نساء الجزائر في غرفتهن
- اسم الفنان: دولاكروا
- أبعاد اللوحة: ١,٨٠/٢,٢٩ سم
- تاريخ إنجاز اللوحة: ١٨٣٤
- الخامة المستخدمة: زيت على قماش
- مكان الحفظ: متحف اللوفر

ب. الوصف:

نلاحظ في اللوحة أربعة نساء يبضاوات البشرة في فضاء مغلف يبدو كغرفة جلوس أو ما يسمى بالحريم، ثلاثة يجلسن على سجادة شرقية مزخرفة وضعت على البلاط المزخرف هو الآخر زخرفة هندسية، في وسط اللوحة تجلس اثنتان وهما مستغرقتان في حديث جانبي مع بعض، ترتديان خلاخل لامعة وسراويل فضفاضة وقمصان من الحرير الفاخر المطرز بألوان وزخارف مختلفة، فالتى على اليمين ترتدي قميصا حريريا أبيض اللون ومزخرف بالبرتقالي مع سروال أخضر اللون مزخرف بالبرتقالي وبعض الحلي وشعرها أسود طويل منسدل على كتفها، والتي بجانبها ترتدي قميصا حريريا ذهبي اللون وسروالا أزرق وتغطي شعرها بقماش أسود وذهبي اللون، وأخرى تجلس على يسار اللوحة وهي مستندة بذراعها على وسائد مزخرفة زخرفة شرقية عربية، وتبدوا مرتاحة وغير مبالية وكأنها سيدة الحريم، ترتدي هي الأخرى سروالا حريريا فضفاضا بلون أخضر فاتح، وقميصا أبيض من حرير وفوقه سترة من قطيفة برتقالية اللون مزخرفة ومطرزة بالذهبي، مع مجوهرات وحلي ذهبي فاخر وتغطي شعرها هي الأخرى بقماش أسود وذهبي اللون، أما على يمين اللوحة فتوجد امرأة سوداء البشرة تبدو كخادمة الحريم واقفة وهي تنظر إلى سيداتها، ترتدي فستانا أبيض وأزرق اللون مع فوطه بلون أخضر وبرتقالي، ملفوفة على خصرها، وترتدي حذاء تقليديا برتقالي اللون هو الآخر وتغطي شعرها هي الأخرى بقماش برتقالي اللون ومزخرف بالأخضر، في وسط الحريم على السجاد الفاخر يوجد ثلاثة نعال مبعثرة بطريقة عفوية وموقد للبخور وشيشة تمسك بأنبوبها ذات الشعر الأسود على يمين اللوحة، كما زين بلاط جدران الحريم بزخارف هندسية وأخرى نباتية، بالإضافة إلى وجود باب خزانة برتقالي وأحمر اللون في وسط الخلفية مفتوح قليلا، ليظهر منه بعض الأواني التي تلمع وقد تسرب منه ضوء خافت، مع ستائر خامتها ثقيلة من الجهة اليمنى من اللوحة، وعلى يسار باب الخزانة توجد مرآة كبيرة بإطار مزخرف باللون الذهبي الفاخر، وعلى يمين اللوحة يوجد لوحة فنية بالخط العربي لونه باللون الأسود والذهبي معلقة على الجدار، مع ضوء خافت طغى على عناصر العمل الفني لكنه مجهول المصدر.

ج. التحليل:

نلاحظ بأن الفنان اعتمد في لوحته هذه على التكوين المنحني لعناصر العمل الفني حيث وزع عناصر اللوحة بطريقة تبدو وكأنها تتبّع خطوط منحنية، أما بالنسبة للخطوط فنجدته ركز على الخطوط المستقيمة العمودية والأفقية، وهذا ما نجدته في زخرفة كل من البلاط والجدران والسجاد وحتى الوسائد وباب الخزانة، كما وظف الأشكال الهندسية بكثرة في كل الزخارف الموجودة في العمل، بالإضافة إلى أن فضاء اللوحة يحتوي على ثلاث مساحات ألا وهي المقدمة والوسط والخلفية، حيث تحتوي مقدمة الفضاء على السيدة التي تتكى على الوسائد وتحتوي مساحة الوسط على كل من المرأتين اللتان تتحدثان على جنب وبالإضافة إلى الخادمة على يمين اللوحة، أما فضاء الخلفية فيحتوي على كل من الخزانة والمرآة والستائر والجدران المزخرفة، أما بالنسبة لمصدر الضوء في العمل الفني فلم يحدده الفنان بصورة واضحة، لكن يبدو وكأنه ضوء طبيعي نابع من الشمس المائلة من النافذة على يسار اللوحة، لكنها غير ظاهرة في العمل بل يظهر الضوء الخافت بطريقة ساحرة فقط، لكن ورغم ذلك يبقى مصدر الضوء غامضا، لأنه لا يبدو ضوءا عاديا بل

يظهر بصورة ساحرة مثل حكايات ألف ليلة وليلة، وركز على أن تبدو خامة العمل وملمسه ناعما جدا حيث يظهر ذلك في أقمشة اللباس الحريري لنساء الحريم وبشرتهم الناصعة، أما بالنسبة لمبادئ العمل الفني فقد ركز الفنان على مبدأ التكرار في الخطوط والأشكال مما خلق نوعا من الحركة في العمل الفني، وكذلك مبدأ التوازن الذي نتج من طريقة توزيع عناصر العمل الفني وذلك باستخدام التوازن الغير متماثل حيث وضع المرأتين والخادمة في يمين اللوحة وعلى يسارها السيدة متكئة على الوسائد بالإضافة إلى المرأة في الأعلى مما خلق نوعا من التوازن في التوزيع العام للعمل الفني ككل.

د. التفسير:

نستنتج بأن الفنان أوجين دولاكروا ركز في لوحته هته على مجموعة من الألوان الحارة كاللون البرتقالي والأحمر بالإضافة إلى مجموعة من الألوان الباردة كاللون الأخضر والأزرق، ومنه نجد بأن الفنان وظف قاعدة التباين اللوني للألوان الحارة والباردة، لتجسيد فكرة الدفع والتكامل، مع إضافة اللون الأبيض للدلالة على الهدوء والنقاء، كما وظف الألوان البراقة كالذهبي في الحلبي التي ترتديها النساء والملابس المزخرفة بالفضي والذهبي للدلالة على الفخامة والرفي والمكانة المرموقة في الحريم، وصور النساء بملابس تقليدية فاخرة للدلالة على سحر الشرق، كما زواج بين اللونين المتضادين الأبيض والأسود في بشرة النساء، للدلالة على المكانة المرموقة لنساء الجزائر ووجود خادمة تخدمن بينهما هم يتبادلون أطراف الحديث في جلسة نسائية، كما يدل الضوء الخافت الذي ينير المكان بطريقة فريدة من نوعها على سحر وجمال الثقافة الشرقية وكأنها صورة التقطت من قصص الخيال، أما الخطوط المستقيمة الأفقية فترمز إلى الثبات والاستمرارية والتوازن، وبالنسبة للخطوط المستقيمة العمودية فتدل على الصرامة.

أما بالنسبة للمعنى العام للعمل الفني فيمكن في فكرة سحر الشرق وبساطة الحياة رغم فخامتها، وبذلك استطاع دولاكروا تجسيد صورة يحاكي بها الواقع الجزائري آن ذاك ليس لغاية جمالية بل لغاية استعمارية بحتة، حيث ساهمت لوحاته في تجسيد حياة الشرق لتسهيل عملية فهم الثقافة الشرقية لتيسير عملية السيطرة على الفكر والثقافة في البلدان المستعمرة كالجزائر، أي أن هذا العمل الفني كان جزءا من خطط فرنسا الاستعمارية والفنان (يوجين دولاكروا) كان واحدا من بين الفنانين الذين استخدمتهم فرنسا كأداة لتسهيل تلك العملية بطريقة توثيقية فنية، تحبس نساء الجزائر بين جدران الاستعمار الفرنسي حيث يصعب تحريرهم من مخدعهم، وكأن الاستعمار يرتقي بتلك الحضارة إلى ما هو أفضل وأجود لكن الحقيقة عكس ذلك تماما.

الخاتمة:

نستنتج من خلال هذا البحث بأن للاستشراق الفرنسي في الجزائر من الجانب الفني التشكيلي دور كبير ومهم في توسيع وتثبيت الخطط الاستعمارية، وتم استخدامه لغايات عسكرية بحتة، من أجل القضاء على الفكر والثقافة الشرقية المحافظة بدل تثبيتها، كما أن الاستشراق الفرنسي في الجزائر ظهر منذ استعمار فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠م، حيث جلبت فرنسا مجموعة من الفنانين التشكيليين كموثقيين لأعمال وجرائم فرنسا ضد المجتمع الجزائري.

لكن ورغم ذلك لا يمكن أن ننكر دور الاستشراق الفرنسي بالجزائر في تطوير وتوثيق العديد من المناظر الطبيعية والثقافية والتقليدية للمجتمع الجزائري، مما عوض مكان الصورة الفوتوغرافية، ولا ننكر أيضا وجود فنانين تأثروا بتلك الثقافة رغم قلتهم، لكن كان لتأثرهم الإيجابي بالثقافة الشرقية في الجزائر دورا كبيرا ومهما في تطوير الفن التشكيلي الجزائري، كما ساهم ذلك في تأثر الفنانين الجزائريين بأساليبهم الفنية الأوروبية وإتقانها، ومن بين الفنانين الفرنسيين الذين تأثروا بسحر الشرق وثقافته نذكر الفنان الفرنسي (إيتيان دينيه) أو بالأحرى (نصر الدين دينيه).

كما نستنتج بعد تحليلنا للوحة الفنية الاستشراقية بعنوان: نساء الجزائر للفنان الفرنسي (يوجين دولاكروا) بأنه من أهم خصائص الفن الاستشراقي في الجزائر النظرة الساحرة لثقافة الشرق، ومحاولة السيطرة على تلك الثقافة الساحرة والبسيطة والهادئة، عن طريق دراستها وتحليلها ومحاولة تحريفها، وهذا ما اتبعته فرنسا كسياسة لتحرف مقومات الثقافة الشرقية في الجزائر من لغة ودين وعادات وتقاليد ومعتقدات، كما اعتمد الفنانين المستشرقين كجماليات فنية لتجسيد الثقافة الشرقية على الألوان الحارة والدافئة، بالإضافة إلى الاستعانة بالإضاءة الطبيعية الخافتة، ودقة تجسيد الحلي والمجوهرات الفاخرة، كذلك وظفوا اللباس التقليدي بخامات وأقمشة ناعمة مختلفة وفخمة كالحرير، كما ركزوا على إعطاء أهمية كبيرة لكل عنصر من عناصر العمل الفني والتفاني في تجسيده بدقة متناهية.

لذلك توجب علينا أن نوصي بضرورة الاهتمام بدراسة هذا النوع من المواضيع والتعمق فيها أكثر بالإضافة إلى ضرورة الحفاظ على هذا النوع من اللوحات والتحف الفنية، نظرا لقيمتها التاريخية حيث تحاكي حقبة مهمة في تاريخ الفن التشكيلي الجزائري.

قائمة المراجع:

مراجع عربية:

١- أحمد رضا الشيخ. معجم متن اللغة.

٢- أمين حسن محمد بن عامر حمد. (٢٠٠٤). المستشرقون والقرآن الكريم (الإصدار ٠١). الاردن.

٣- بيطار زينات. (١٩٩٢). الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي. الكويت: عالم المعرفة.

٤- جمال قطب. (٢٠١٦). الفن والحرب. مصر: مكتب مصر.

٥- فتح الله الزيايدي محمد. (٢٠٠٢). الاستشراق أهدافه ووسائله (الإصدار ٢). دمشق، سوريا: دار قتيبة.

٦- كمال شاعو. (٢٠١٢، ٠١). أثر الفن الاستشراقي في تكريس الفكر الاستعماري (أطروحة دكتوراه). ١٠٥. الجزائر العاصمة، جامعة الجزائر، الجزائر: كلية العلوم الانسانية تخصص تاريخ.

٧- محمد الأمين أعمار. (٢٠١٦-٢٠١٧). التصوير الاستشراقي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر (أطروحة دكتوراه). جامعة أبي بكر بالقياد، ١٠٦. تلمسان، كلية الآداب واللغات والفنون قسم الفنون، الجزائر.

٨- محمد خالدي، و بنعمر عزوز. (٢٠١٨). الاستشراق الفرنسي وأثره في نشأة الفن التشكيلي الجزائري. مجلة جماليات ، ١ (٥)، صفحة ٥١.

-مراجع أجنبية:

9- Vidal-Bué. (2002). *L'Algérie et des peintures 1830-1960*. Alger: Paris Méditerranée.

قائمة الملاحق:



الملحق رقم 01: لوحة نساء الجزائر في غرفتهن (ثقفة، 2014، صفحة 238).



الملحق رقم 02: لوحة الخروج من المسجد (تكرام، 2018، صفحة 69).



الملحق رقم 03: لوحة نساء بوسعادة (تكرام، 2018، صفحة 68).